بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ارتبطت أفريقيا بالإسلام مع شعاعه الأول حين هاجر إليها المسلمون فارين بدينهم نازلين على نصيحة نبيهم محمد ﷺ أن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد (نجاشي الحبشة) ، بل وأصبح المسلمون دعاة الإسلام في شرق أفريقيا ، كما سيكون لهم دورهم في غربها، وارتبطت القارة بالعرب المسلمين الذين كانت تربطهم علاقات تجارية قديمة ، فقد كانت للعرب تجارة زاخرة خاصة مع شرق أفريقيا ، بل وكونوا بهذه المناطق إمارات عربية واستقروا بها.

وفي مطلع العصور الحديثة شهدت القارة موجة من التكالب الاستعماري بعد خروج المسلمين من الأندلس ، وكان الهدف من هذا التكالب يتمثل في تعقب المسلمين القادمين من الأندلس والقضاء على آخر معاقلهم على الساحل الأفريقي ، بل وتطويقهم بالاتصال بالحبشة المسيحية ، وقد ظهر ذلك جلياً منذ حملات هنري الملاح إلى بلاد المغرب وهي حملات صليبية معروفة.

سعى الاستعمار الأوربي إلى بث الفرقة بين الشعوب لينفرد بكل شعب على حدة ، ومازال الاستعمار يبث الفرقة خاصة بين الدول الإسلامية بإبعاد الدول عن الدولة التي يريد الاستعمار الانقضاض عليها ، والأمثلة على ذلك كثيرة في العراق والصومال والسودان وفلسطين ، ومما يؤسف له فإن الحكام المسلمين ينصاعون طوعاً ورهبة بكل خذلان وذله للاستعمار الأمريكي (حاليا) ، وبهذا فإن الدول الاستعمارية استطاعت أن تمكن لسياستها المعمرة "سياسة فرق تسد" عن طريق الخلافات القبلية والإقليمية وأن تحتال بكل مكر ودهاء على عدم تحقيق الاستقلال القومي في المستعمرات.

عاشت شعوب أفريقيا أزمنة طويلة تعاني من الفقر والجهل والمرض والتخلف الحضاري بسبب الاستعمار الذي استغلها اقتصادياً وسياسياً وسعى للقضاء على الثقافات الوطنية وعلى الروح القومية ، بل أصبحت نظرة المستعمر إلى شعوب القارة نظرة السادة

للعبيد ، بل أصبح ذلك بالفعل ، فقد كان الرقيق الأفريقي مصدر ثروة اقتصادية ضخمة لتجار الرقيق الأوربيين في تصديره إلى العالم الجديد (الأمريكتين) ، وكان يبرر عمله الاستعماري بالأعمال الخيرية ، أعمال الأنبياء والرسل بإرسال المبشرين (المنصرين) ، رغم أن أعمال التبشير هي أسلوب آخر ومهم من أساليب الاستعمار.

وتمضي الدراسة في تطور مستمر وتصل في سياقها إلى نتائج معينة ومحددة ، أهمها ظهور التنافس الشديد بين الدول الاستعمارية وتكوين الإمبراطوريات الأوربية في أفريقيا وتقسيم القارة فيما بينهم ، ونجاح بريطانيا في تحقيق أهدافها في التخلص من الوجود العربي في أفريقيا وإزاحته من طريقه ليحل محله وتمثل ذلك في الإمبراطورية المصرية في شرق أفريقيا وكذلك دولة البوسعيديين.

وقد لجأ الاستعمار إلى وضع عبارات ليست إلا وسيلة لتغطية أعين شعوب المستعمرات الإفريقية مثل : الوصاية - الحماية - الضم - المشاركة - الحكم الثنائي - الإصلاح الدستوري - وهي أفكار مضللة لأن الاستعمار لا يقوى على التنازل الاختياري ، لذا كانت حركات التحرر والاستقلال.

أما علاقة العالم العربي بدول القارة الأفريقية فهي علاقة قديمة استمرت عبر الحضارات والغزوات وانصهرت الشعوب فيما بينها على مر الأزمان وحتى عصرنا هذا ، حيث التقت المجموعتان فيما يسمى بالدول النامية التي ذاقت معا مرارة الاستعمار وويلاته من نهب وسرقة وقتل وتدمير واستغلال واستعباد ناهيك عن التمييز العنصري الذي عانت منه جنوب أفريقيا ، والواقع أن جميع الدول التي وقعت تحت الاستعمار وهي كل دول القارة بلا استثناء لم تكن معاناتها أقل قسوة من التمييز العنصري.

وقد قررت الدول الأفريقية والعربية التعاون والتحالف فيما بينها في إطار تنظيمات مشتركة من أجل تكوين جبهة واحدة قوية ومتماسكة لمواجهة تحديات التخلف وأطماع الدول العملاقة في أراضيها وفي ثرواتها.

لقد كانت الثورة السياسية الأفريقية من أبرز الظواهر الطبيعية التي وقعت على حرج الأحداث العالمية منذ الحرب العالمية الثانية ، ففي خلال سنوات معدودة انبعثت إلى حيز الوجود ثلاثون دولة حديثة ، وتحولت القارة الأفريقية من سجن للاستعمار الأوربي إلى خليط متباين من الدول الأفريقية ، وأصبح الأفارقة يحكمون أنفسهم ، وقد كانت الثورة التحررية تتسم بطابع العداء للاستعمار أكثر من اتسامها بالطابع القومي ، فالاستعمار الأوربي قام برسم الحدود السياسية لأفريقيا ، ولكن هذه الحدود لم تشتمل على جماعات بشرية ذات تاريخ مشترك يعتبر بطبيعته ضرورياً لوجود وعي قومي.

وكان من نتائج الحرب العالمية الثانية أن جاء ميثاق الأمم المتحدة مؤكداً الإيمان بحقوق الإنسان الأساسية وكرامته وقيمته والمساواة في الحقوق بين الأمم الصغيرة والكبيرة ، بل والكفاح في سبيل خلع نير عبوديتها ، والعمل على التحرر والحصول على الاستقلال ، ومقاومة العنصرية والتضامن الإسلامي والأسيوي والعربي الأفريقي ، وقد ازدادت العلاقات الأفريقية العربية مع مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، رغم أن هذه العلاقات لم تخرج عن نطاق القرارات الدبلوماسية إلى ما بعد حرب ١٩٧٣ التي اعتبرت انتصاراً على العنصرية في جنوب أفريقيا لتحالفها وارتباطها مع الصهيونية في فلسطين.

وقد تم تقسيم الكتاب إلى فصل تمهيدي وتسعة فصول ، وقد تناولت في الفصل التمهيدي التوزيع القبلي للقارة ، والتجمعات المسيحية في الحبشة ، وانتشار الإسلام والممالك الإسلامية المتمثلة في السنغال وغانا ومالي وكانم وشرق أفريقيا الإسلامي.

أما الفصل الأول "الكشوف البرتغالية والاستعمار الأوربي على السواحل الأفريقية" وقد قمنا بتوضيح العوامل التي أدت إلى هذه الكشوف ، ومراحل كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وكذلك الكشوف الداخلية للقارة - في الحبشة والساحل الغربي والكونغو وأنجولا والساحل الشرقي للقارة ، وكشف منابع نهر النيل وجنوب أفريقيا.

وجاء الفصل الثاني بعنوان "تجارة الرقيق حتى إلغائها" وقد قمنا بدراسة هذه التجارة اللاإنسانية منذ بدايتها وأثرها على الاقتصاد الزراعي وكيفية جمع الرقيق والمعاناة

التي كان يلاقيها هذا الرقيق بسبب سوء وقسوة تجار الرقيق وحتى الذين كانوا يقيمون بشراءه ، كما قمنا بعرض الدور الأوربي خاصة البريطاني في إلغاء هذه التجارة.

وعالجنا في الفصل الثالث أحداث مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ من خلال نشاط الدول الأوربية قبل انعقاد المؤتمر ووقائع المؤتمر ونتائجه ، وأن هذا المؤتمر كان الهدف منه تقسيم القارة الأفريقية بين الدول الأوربية الاستعمارية.

أما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان "التنافس الاستعماري الأوربي وظهور الإمبراطوريات الاستعمارية في القرن التاسع عشر" معالجاً أسباب هذا التوسع الاستعماري والصراع الدولي في أفريقيا متمثلاً في كل من : بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا ودور كل من هذه الدول في الحصول على أكبر مساحة من الأراضي الأفريقية.

وتناولت في الفصل الخامس دور الاستعمار الأوربي في تصفية الوجود العربي في أفريقيا والمتمثل في : أولاً : تصفية الإمبراطورية المصرية الأفريقية في شرق أفريقيا واقتسامها وانتهاز الاستعمار فرصة الثورة المهدية في هذه التصفية للإحلال محلها وقد تم للاستعمار ذلك ، وثانياً : تصفية دولة البوسعيد في شرق أفريقيا (زنجبار).

وجاء الفصل السادس بعنوان "حرب البوير" وقد قمنا بتوضيح أصل البوير وهجرتهم إلى جنوب أفريقيا والحرب بينهم وبين الإنجليز ، أما الفصل السابع فقد جاء تحت عنوان "تطور الأساليب الاستعمارية" وقد تمثلت هذه الأساليب في " الوكالات والمعاهدات والشركات والضم والتفرقة العنصرية والتبشير والتعليم الأجنبي ودور كل من هذه الأساليب لإخضاع المجتمع الأفريقي لسيطرة الاستعمار الأوربي.

أما الفصل الثامن فكان عن "مظاهر النهضة الأفريقية" من حيث الحركات التحررية وتصفية الاستعمار ، واستقلال الشعوب الأفريقية ، ونظم الحكم والإدارة ، ومشكلات الحدود ، التي ظهرت بعد خروج الاستعمار ، ثم دور منظمة الوحدة الأفريقية.

وأخيراً كان الفصل التاسع عن "العلاقات الأفريقية العربية الإسلامية وأثر هذه العلاقات في دعم الدول العربية للشعوب الأفريقية ، وكذلك مقاومة التفرقة العنصرية ، ودور الشعوب الأفريقية في دعم القضايا العربية والإسلامية .

ونرجو أن نكون قد وفقنا فيما قدمنا.

وعلى الله قصد السبيل ،،

أسيوط في يناير ٢٠٠٨ **د. فرغلي علي تسن هريدي**

آداب قنا

obeikandi.com